



الإسلام، الغرب  
وحوار المستقبل

\* الاسلام والغرب وحوار المستقبل

\* تأليف: محمد محفوظ

\* الطبعة الأولى، 1998

\* جميع الحقوق محفوظة

\* الناشر: المركز الثقافي العربي

□ الدار البيضاء/ ● 42 الشارع الملكي (الأحباس) \* فاكس /305726/ \* هاتف /307651- 303339/.  
● 28 شارع 2 مارس \* هاتف /271753-276838/ \* ص.ب. /4006/ درب سيدنا.

العنوان:

□ بيروت/ الحمراء . شارع جان دراك . بناية المقدسي . الطابق الثالث.

\* ص.ب./113-5158/ \* هاتف /343701-352826/ \* فاكس /00961-1-343701/.

محمد محفوظ

# الإسلام، الغرب وحوار المستقبل

المركز الثقافي العربي



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

## مقدمة

تعددت الإجابات وتشعبت، واتخذت أبعادا مختلفة، من جراء السؤال التاريخي، الذي أصبح هاجس جميع النخب العربية والاسلامية منذ بزوغ عصر النهضة.  
كيف نقوم بتحديث مجتمعا العربي، وننجز التقدم، ونسهم في الجهد الإنساني لبناء المستقبل؟.

لا نبالغ إذا قلنا، بأن تاريخ العرب والمسلمين الحديث هو عبارة عن تيارات ومشاريع وشعارات وسجلات للإجابة عن هذا السؤال. وقد اتخذت هذه السجلات والإجابات المتناقضة عناوين مختلفة في تاريخنا، فالصراع بين القديم والجديد، الإيمان والكفر، الأصالة والمعاصرة، لا يخرج عن هذا النطاق، بل يؤكد ويضيف إليه أبعادا ثقافية واجتماعية جديدة وقد تبلورت في هذا المناخ الصاخب كل التيارات والوجودات السياسية والفكرية العربية.

أما عدم تمكن كل القوى والنخب المتعددة، من إنجاز التقدم، فلا يرجع في تقديرنا إلى نقص نظري أو معرفي، أو قصور ذهني، أدى إلى عدم استيعاب تجربة الشعوب المتقدمة، وإنما يعود هذا الإخفاق الى غياب الذات التاريخية الفاعلة، التي تأخذ على عاتقها إنجاز التقدم، وصياغة أجوبة فاعلة على تحديات العصر.

لذلك فإن مهمة العرب والمسلمين المعاصرة، تتجلى في توفير كل أسباب وعوامل إنجاز مقولة الذات التاريخية المجتمعية الفاعلة. فهي وحدها التي تخرجنا من عالم السلب والهامشية وتضعنا في قلب الأحداث والعمليات التاريخية الكبرى.

ليس من مهماتنا التاريخية إدانة بعض أعلام النهضة أو تبجيل البعض الآخر، وإنما نحاول تلمس سيورة فكرية - اجتماعية قابلة للتراكم والتواصل لإنجاز تلك الذات التاريخية الفاعلة على مستوى المجتمع والأمة وحركتهما التاريخية. فبدون هذه الذات الجمعية، تستيقظ

كل التوجسات والشكوك أمام كل مشروع نهضوي، وبهذا يفقد المشروع مهما كانت وجهته ومقصده، الوقود البشري، وينتهي مع الزمن مآله إلى عقول نخبة قليلة العدد والتأثير.

وفي هذه الأوضاع ينعق أصحاب الضمائر الرديئة والنفوس المريضة لإضعاف الأمة وإغراقها بمشكلات زائفة، لا تزيدها إلا ابتعادا عن تطلعاتها الحضارية.

وتتخدم أيضا في هذه الأوضاع لغة السجال في كل الاتجاهات، وتتضاعف التمزقات والتصنيفات الأيديولوجية والفكرية.

ويغيب في هذا المشهد الفسيفسائي والسجالي، العمل الجاد لإنهاض الأمة ومواجهة مشكلاتها الحضارية. ولن تلتئم التمزقات وتخبو لغة السجال المميته الا بخلق الواقع المجتمعي المتحرك الفاعل، الذي يتجاوز كل مواقع وعناوين الهامشية والتبرير والابتعاد عن معركة بناء الانسان والحضارة.

من أجل هذا الواقع المجتمعي الجديد، يأتي هذا الكتاب باعتباره قراءة متعددة لمحور أساسي من محاور بناء الذات التاريخية، وهو العلاقة مع الغرب والحضارة الحديثة.

وحوارات الاسلام والغرب من الاهمية بمكان ان تتجه ابتداء الى نقد المفاهيم السائدة لدى كل طرف عن الآخر للوصول الى وعي حقيقي متبادل، وذلك لكي يكون لمشروع الحوارات تأثير مباشر وجوهري على الداخل العربي والاسلامي، في تكوين إرادة جماعية أو توحيد الجماعة الوطنية، من خلال الارتفاع بمستوى المفاهيم الأيديولوجية وتكوين فهم جديد مشترك لواقع جديد ومشارك أيضا. وذلك لأن كل التجارب السياسية والثقافية التي انطلقت في الداخل العربي والاسلامي على قاعدة تجاوز الحقائق والقفز على القوى المتوفرة، لم يكن مصيرها إلا الفشل أو النجاح الجزئي، الذي يخلق تداعيات معقدة أقل ما يقال عنها أنها أضاعت كل الثمار الايجابية لذلك النجاح الجزئي.

فالغرب اليوم بما يشكل من ثقافة وحضارة وامتداد سياسي واجتماعي في فضائنا العربي والاسلامي، أضحي حقيقة قائمة لايمكن التغافل عنها. كما أن الاسلام بما يشكل من عمق تاريخي وثقافة وحضارة، وقوى سياسية واجتماعية، أصبح واقعا مشهودا وملموسا.

والحل ليس في أن يسعى كل طرف الى نكران قوة الآخر، لأن النكران لا يؤدي الا الى القطيعة، والصراعات المحمومة ذات الطابع السلبي والتدميري.

لذلك فالحل في نظرنا يتجسد في:

إعادة تشكيل الوعي الاجتماعي لدى كل قوة وطرف، بحيث يكون وعيا اجتماعيا متواصلا، لامتعه الاختلافات العقائدية والسياسية من التواصل والحوار والتفاهم المباشر.

الارتفاع بمستوى المفاهيم الاصلية لدى الجماعات الوطنية، وذلك ليس من أجل قسر الأطراف الضعيفة على الذوبان، وإنما من أجل إنجاز فهم مشترك ومتبادل وبشكل دقيق وواضح.

هذا الفهم المشترك، لن يكون فعالا، الا إذا تشكلت إرادة جماعية، لإثراء الفهم المشترك، وإيصاله الى أقصى مستوى ممكن من التفاهم والتنسيق.

لذلك فالمطلوب ليس أن ينادي كل طرف بضرورة الحوار، وإنما لا بد من إثراء هذه الضرورة بحقائق اجتماعية، ثقافية، سياسية، حضارية، حتى تشكل الإرادة الجمعية الفاعلة، والمتجهة إلى إثراء التجربة الإنسانية، عبر توفر جملة من الشروط المادية والمعنوية، التي لا يمكن إنجازها إلا بمساهمة ومشاركة مختلف التنوعات التاريخية والإنسانية. وهذه الطريقة تكون المفاهيم المستخدمة (حوار، تسامح، تفاهم) ذات مدلولات علمية - حضارية، اشترك الجميع في بلورتها وإنضاجها. فالحوارات لا توصل الى علم حقيقي وفهم جوهري، إلا إذا اتجهت الى الكشف داخل المفاهيم الجامعة عن أشكال تحقيقاتها المختلفة.

وكل ما نرجوه، أن نكون قد وفقنا في ما قدمناه، وما التوفيق إلا من عند الله.

محمد محفوظ  
سيهات - السعودية  
آب (أغسطس) 1998م



الفصل الأول

الإسلام والغرب:  
نظرة في الجذور



## العالم الإسلامي والغرب من أجل نقد علمي لفهوم الحداثة الغربية

### مدخل تاريخي

مع كل انعطافة تاريخية، يمر بها العالم العربي والإسلامي، تطرح مقولة العلاقة بالآخر الحضاري، وهل هي ضرورة لمواكبة العصر والركب الحضاري، أم إننا ينبغي أن نغلق على أنفسنا الأبواب والنوافذ حتى لا يتمكن هذا الآخر الحضاري من اختراقنا والتسرب إلينا، في منظومتنا القيمية سواء في العادات والتقاليد والسلوك أو على مستوى النظر والفكر والعمل.

وكان هناك جدلية قائمة ودائمة بين ما يحدث من أحداث وتحولات في واقعنا الداخلي كأمة، وبين الآخر الحضاري الذي يحاول الهيمنة والسيطرة الحضارية على مقدراتنا وتراثنا.

في التاريخ الحديث يمكن أن يؤرخ للعلاقة (المواجهة) بين المشرق (العالم العربي والإسلامي) والغرب. بدخول نابليون الفرنسي إلى مصر بجيشين، عسكري وعلمي، فبسبب القوة العسكرية التي كان الجيش الفرنسي يمتلكها لم يستطع المسلمون الدفاع عن أنفسهم، وبالجيش العلمي إكتشف الشرفيون مقدار تخلفهم وإنحطاطهم الحضاري لذلك اعتبر برنارد لويس حملة نابليون (1795 - 1801م) أول قوة مسلحة عادت الطريق للغرب الحديث في الشرق الأوسط وأول شرارة كهربائية في طريق التغريب في الشرق الأوسط.

لقد كانت هذه العملية إيدانا ببدء مسيرة الهيمنة والسيطرة الغربية (الاستعمارية) على مقدرات العالم الإسلامي وثرواته، وبدأ الغرب ينسج خططه ومؤمراته لمنع أي تقدم أو تطور في العالم الإسلامي. ففي عهد (عبد العزيز العثماني) الذي حكم من عام (1860 - 1876م)

حصلت الحروب الشهيرة بين الامبراطورية العثمانية ومحمد علي باشا وتدخلت الدول الأوروبية مجتمعة رغم عداتها للدولة العثمانية لتمنع محمد علي من متابعة سيره نحو إستانبول خوفاً من قيام دولة قوية وموحدة، وإبقاءً على الدولة العثمانية الضعيفة لإسقاطها وتقاسم ولاياتها فيما بعد، وإنتهت هذه الحروب عام (1832)، وعقدت معاهدة (كوتاهية) عام (1833م) بعدما ترك الطرفان يستنزفان بعضهما البعض، فزاد ذلك من وهن الدولة وضعفها. فالزحف الاستعماري الغربي العنيف وقع على العالم الإسلامي، في وقت كانت الدولة العثمانية، تعاني الكثير من أسباب الاضمحلال والضعف، وقد كانت أعراض هذا الضعف قد ظهرت على السطح في عهد السلطان مصطفى الثاني (1695 - 1703م) فعقدت معاهدة (كارلوفتس) عام (1699م) والقرن السابع عشر يقترب من نهايته، فكانت هذه المعاهدة استهلالاً سيئاً للقرن الثامن عشر بالنسبة إلى العالم العربي والإسلامي. واستمرت العملية الاستعمارية الخبيثة تخترق بلدان العالم الإسلامي، وتقوض أسس البنيان في هذه الدول. ففي عهد السلطان عبد المجيد الذي اقترن إسمه بالتنظيمات أي فرمان: (1854 - 1856م) وتم بموجبها استبعاد الشريعة الإسلامية وبدأ تسيير شؤون الدولة وفق المنهج الغربي مما أدى إلى تعميق التبعية وتكريسها حتى وصلت ديون الامبراطورية في عهد السلطان عبد الحميد (ثلاثمائة مليون ليرة). يذكر السلطان عبد الحميد في مذكراته واصفاً الحالة الاقتصادية للدولة العثمانية قائلاً: «الدخل العام يقل عاماً بعد عام والانتاج المحلي كان يضمحل يوماً بعد يوم فقد كنا منذ فترة التنظيمات، نأتي بكل أشياءنا من أوروبا، المنتوجات الأوروبية غطت كل مكان، أصبحت عدة مصانع في طريقها إلى الزوال وهبط دخل الجمارك إلى الحد الذي لايجزي بسبب تلك المعاهدات المعقودة مع الدول الكبرى. لم تعد تكفينا زيوتنا، الطرق غير موجودة، والتخاير صعب كان أراضي الامبراطورية تركت لأقدارها»

وقبل ان نستطرد في الحديث عن سيناريو العلاقة التاريخية والمعاصرة بين العالم الإسلامي والغرب، لا بد أن نسأل.. لماذا العلاقة التاريخية بين الغرب والعالم الإسلامي دائماً علاقة توتر وحذر ومواجهة؟ بالطبع هذا ليس صدفة أو وليد الفراغ وإنما للأسباب التالية:

1 - الحروب الصليبية: حيث كانت تشكل الذروة في مسعى الغرب للحد من عالمية الإسلام وإنتشاره، وفي إبان الحملة الصليبية الاولى على بلاد الشام خطب البابا (أربان) في مدينة كليرمونت بفرنسا محرضاً على الالتحاق بالحملة المسعورة ضد البلاد الإسلامية قائلاً «لاتدعوا شيئاً يقعد بكم من أحلامكم او من شؤون أسركم ذلك بأن هذه الارض التي تسكنوها الآن والتي تحيط بها من جميع جوانبها البحار وقلل الجبال ضيقة لا تتسع لسكانها

الكثيرين تكاد تعجز عن أن تجود بما يكفيكم من الطعام، وتتحاربون ويهلك الكثيرون منكم في الحروب الداخلية». وهكذا توحدت جميع القوى الأوروبية المتصارعة من أجل شن حروب تدميرية بشعة ضد العالم الإسلامي، يقول ديورانت في قصة الحضارة: «وهكذا توحدت أوروبا كما لم تتوحد في تاريخها، وكان من حسن حظ الصليبيين أن المسلمين كانوا أشد انقساماً على أنفسهم من المسيحيين، ووجد (أربان) نفسه السيد المرتضى من الوجهة النظرية على الأقل للملك أوروبا على بكرة أبيهم وسرت روح الجماعة كما لم تسر فيها من قبل في أثناء هذا الاستعداد المحموم للحرب المقدسة». فالحركة الصليبية إنبتقت، عن الأوضاع الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، التي كانت سائدة في غرب أوروبا في القرن الحادي عشر. ويتعبير آخر شكلت الحروب الصليبية تعبيراً واضحاً عن عنف المجتمع الاقطاعي الأوروبي الموجه ضد الخارج وبالتحديد ضد الدين الإسلامي، مع ما ترتب عليها من نتائج وآثار هي أساس نشوء الرأسمالية في أوروبا. وفي أثناء الحروب الصليبية نما وتوسع دور المدن الإيطالية وكانت الأرباح التي تراكمت من جراء الحملات البحرية هي أساس النهضة المدنية في إيطاليا. وبهذا نجد أن للحروب الصليبية وجهين: تطور وتقدم وبناء من جهة وتدمير وقتل وإفناء في الجهة المقابلة. كما ان الاستعمار الفرنسي كان يجارب في الجزائر تحت شعار (المعركة الكبرى من أجل تكريس المسيحية الغربية على الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط)، وعلى هذا فان أحد العوامل الأساسية التي جعلت العلاقة بين الطرفين علاقة مواجهة دائمة ومعركة حضارية متبادلة، كانت الحروب الصليبية وما شكلته من دوافع وبواعث وآثار على مختلف الأصعدة والمستويات.

2 - الحركة الاستعمارية: لم يكتف الغرب تاريخياً بشن حروب شرسة ضد العالم الإسلامي وإنما تبع ذلك بحملات إستعمارية مدمرة على بلدانه. وفي هذا الإطار وظفت الاكتشافات العلمية والتطور الصناعي والتقني الذي حدث في الغرب من أجل تدعيم الهيمنة الاستعمارية واتساع رقعتها. ف(ليبنتز) وهو يضع القواعد الجديدة لعلم الرياضيات كان يفكر في احتلال مصر ويقدم من اجل ذلك تقريراً مفصلاً للويس الرابع عشر.

ومع زيادة حركة الاستعمار الغربي في أنحاء متعددة من العالم صيغت نظريات التعبير للحركة الاستعمارية وتغطية استمرارها. فظهر ما يسمى بالنظرية البيولوجية السياسية، ومضمونها أن للدول الكبرى حقاً في التهام الدول الصغرى، وأن الشعوب الصغيرة يجب أن تموت وتقنى أمام الدول الكبيرة. هذا ما أكده «أرنست رينان» عندما أعلن: «أن الأوروبي خلق للقيادة كما خلق الصيني للعمل في ورشة العبيد وكل ميسر لما خلق له». وصحبت

هذه النظرية نظرية الأرض أو الملك المباح، التي تعني إباحة استعمار الاقاليم التي تسكنها شعوب متخلفة عن ركب الحضارة لأنها غير مسيحية وخارج القارة الأوروبية! وقد كتب بعض المستشرقين كتباً يوضحون فيها النظرية البيولوجية العرقية التي حاول المستعمرون تبرير أعمالهم بها، فكتب كوفييه «مملكة الحيوان»، وغويينو «مقالة في التفاوت بين العروق الإنسانية»، وروبرت نوكس «عروق الإنسان السوداء»، وغوستاف لوبون «القوانين النفسية لتطور الشعوب». وتهدف هذه الكتب وغيرها إلى القول بأن الشرق ينتمي بيولوجياً إلى عرق محكوم وينبغي له أن يحكم وهذا قدره ومصيره.

وإلى كل هذا عمدت الحركة الاستعمارية إلى ضرب الأسس الثقافية والايديولوجية للعالم الإسلامي وإلحاقه بعد ذلك سياسياً واقتصادياً بالدول المستعمرة. وتوضح هذه الاستراتيجية من مقولات المستشرقين إذ يروي (سزرن) حدثاً إحتدامياً بين (1450 و 1460) حين حاول اربعة رجال متفهمين هم جون أوف سيفوفيا ونيكولاس أوف كوسا وجان جرمان وإينياس سيلقيس (البابا بولس) أن يعالجوا الإسلام من خلال مؤتمر أعد ونظم لمواجهة الإسلام، وحاول من خلاله المسيحيون أن يحملوا المسلمين على اعتناق المسيحية بالجملة<sup>(1)</sup>. كما يرى المستشرق الفرنسي (فلوني) أن ثمة ثلاثة حواجز في وجه السيطرة الفرنسية في الشرق وأن أية قوة فرنسية لا بد أن أن تحارب لذلك ثلاثة حروب: الاولى ضد إنكلترا، والثانية ضد الباب العالي العثماني، والثالثة وهي أكثر صعوبة ضد المسلمين. كما تحدث بيركهاردت عن الإسلام كشيء بائس وعار وتافه ينبغي محاربته.

وعن طريق الاستعمار نهبوا الثروات المتوفرة في بلدان العالم الإسلامي، حتى ان ثلاث دول أوروبية كانت تقسم فيما بينها 93% من مجموع التحويلات الخارجية موزعة على هذا النحو: 45% لبريطانيا 25% لفرنسا 13% لألمانيا. كما أن الاجانب في مصر كان عددهم (225000) عام 1920 وفي قباهم (16) مليون عدد سكان مصر آنذاك، ولكن الاجانب كانوا يملكون 53% من الثروة العامة لمصر. ويقول (دات) صاحب كتاب تاريخ الهند الاقتصادي في اوائل الحكم البريطاني. كان رأس المال البريطاني المستثمر في الهند في حقيقته منتزعا من الهند أصلاً عن طريق نهب الشعب الهندي. ثم اعتبار الشعب مديناً لبريطانيا بذلك المبلغ والزامه بأن يدفع على هذا الدين أرباحاً وفوائد، وتدفع الهند سنوياً إلى بريطانيا (30) مليون ليرة، كما تحملت الهند أعباء (مال ورجال) حملات الاسطول البريطاني المرابط في البحر الابيض ونفقات

1 - الإستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء، إدوارد سعيد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن ص 91.

القنصليات البريطانية في بلاد العجم.

وبشكل عام فملف الاستعمار في العالم الإسلامي وعمليات الارهاب والإبادة والقتل والوحشية والتدمير، لازالت ماثلة امام أعين الشعوب الإسلامية.

3 - القيم المادية: لم يكتف الغرب بنهب ثرواتنا وتمزيق وحدتنا والقضاء على أحلامنا وآمالنا، وإنما حاول ويحاول أن يزرع في جسدنا مجموعة من القيم المادية الجوفاء التي آمن بها وقام بنيانه عليها، كالإرهاب والاستغلال والإستعمار والغزو والاحتكار والسيطرة والهيمنة. وقد انعكست هذه القيم في سلوك الدول الاستعمارية تجاه الدول الأخرى ويات كل شيء يقاس بالمقياس الغربي.. فقد حاول مؤرخو الغرب الاستعماري ومفكروه أن يقوموا بعملية بتر للمسيرة التاريخية من أجل إقناع العالم بحقيقة عنصرية واهية، مفادها ان الحضارة لم يعرفها الا العالم الغربي، وهو مصدر القيم الحضارية المادية والمعنوية وأن غير الغربيين هم مجتمعات وحشية، متخلفة، همجية أو كما قال (توسيديد) بأن حدثاً مهماً لم يقع في العالم قبل عصره. وإعتماداً على العقلية المادية التي يعتمد عليها الغرب في سلوكه ومواقفه، بدأت مجموعة من المواقف الحاقدة التي تبناها بعض أقطاب الحضارة الغربية ضد العالم الآخر.

وصفق هيجل لما أسماه بإننتصار الروح الأوروبية وعودتها إلى مجدها عند احتلال فرنسا للجزائر، كما أعتبر ماركس وانجلز الاستعمار الفرنسي للجزائر خطوة تقدمية سترقي بالجزائر من طور الانتاج الاقطاعي إلى الطور الرأسمالي.

وكتب المستشرق الأب (لامانس) كتباً يطعن فيها في الإسلام ورجالاته والقرآن الحكيم، ويبين فيها حقه الدفين على رسول الإنسانية (ص). وكذا باقي المستشرقين (مرجليوث) الذي حاول أن يزيغ تاريخ المسلمين، والذي يقول عنه مستشرق آخر هو (أبري) في خاتمة كتابه (المعلقات السبعة)، «إن السفسطة وأخشى أن أقول الغش في بعض الأدلة التي ساقها الأستاذ (مرجليوث) أمر بين جداً ولا تليق البتة برجل كان ولا ريب من أعظم أئمة العلم في عصره».

وعن النظرة الاستعلائية للغرب تجاه المشرق الإسلامي فقد إعتبر «بلفور» فوقية بريطانيا ودونية مصر مسألة بدهية، ومسلمة أساسية من مسلمات فكره إذ يقول: قبل كل شيء انظر إلى حقائق القضية، إن الأمم الغربية فور إنبثاقها في التاريخ تظهر تباشير القدرة على حكم الذات، لأنها تمتلك مزايا خاصة بها. ويمكنك أن تنتظر إلى تاريخ الشرقيين بأكمله فيما يسمى بشكل عام المشرق دون أن تجد أثراً لحكم الذات على الاطلاق.

كل القرون العظيمة التي مرت على الشرقيين (ولقد كانت عظيمة جداً) إنقضت في ظل الطغيان، ظل الحكم المطلق، وكل اسهاماتهم العظيمة في الحضارة الإنسانية ولقد كانت عظيمة، إنجزت في ظل هذا النمط من الحكم فقد خلف فاتح فاتحاً وتلت سيطرة سيطرة، غير أنك في دورات القدر والمصير كلها لا ترى أمة واحدة من هذه الأمم تؤسس بدافع من حركتها الذاتية، ما نسميه نحن من وجهة نظر غربية، حكم الذات هذه هي الحقيقة، وليست القضية قضية فوقية أو دونية وقد يقول حكيم شرقي حق، أن الحكومة العملية الفاعلة التي الزمنا بها أنفسنا في مصر. في اماكن أخرى ليست مما يليق بفيلسوف. وان هذا النوع من العمل هو العمل القذر، العمل الوضيع، عمل أداء الضروري من الجهد.

ومن ثم يؤسس بلفور على ضوء هذه القناعة العنصرية والاستعلائية قناعة أخرى تبرر للعالم الهيمنة الاستعمارية البريطانية على مصر إذ يضيف قائلاً: «أهو خير لهذه الأمم العظيمة (وأنا أعتز بعظمتها) أن نقوم نحن بممارسة هذا النمط من الحكم المطلق في ظني ان ذلك خير، وفي ظني أيضاً أن التجربة تظهر أنهم في ظل هذا النمط، عرفوا حكومة أفضل بمراحل مما عرفوه خلال تاريخ عالمهم الطويل كله، وأنها ليست مصدر نفع لهم فقط، بل هي دون شك مصدر نفع للغرب المتحضر بأكمله. نحن في مصر لسنا من أجل المصريين وحسب مع أننا فيها من أجلهم. نحن هناك أيضاً من أجل أوروبا كلها»<sup>(2)</sup>.

وغيرها من المواقف التي تعكس إرث العداة التاريخي والحضاري للإسلام، المتأصل والمستمر في العقلية الأوروبية والغربية بشكل عام.

4 - القضية الفلسطينية . . إذ تعتبر من الأسباب الرئيسية لحالات العداة والحذر والمواجهة في مسيرة العلاقة بين الطرفين . فالغرب، ومؤامرة مدروسة حاول أن يجمع الشتات اليهودي على ارض فلسطين . وبهذا شكل لنفسه قاعدة غربية متقدمة في العالم الإسلامي تمنع وحدة الأمة، وتقضي على كل وتائر التقدم والتطور فيها، وتؤسس نسقاً متصلاً لتبديد ثروات الأمة في عملية شراء الأسلحة وتخزينها، لتحقيق التوازن الاستراتيجي الموهوم . ومن أجل تحقيق هذه المؤامرة الدنيئة ذهب الشعب الفلسطيني ضحية العقلية الغربية الاستعمارية التي لا تفكر الا في مصالحها وأطماعها.

إضافة إلى هذا فقد أنجب رحم الحضارة الغربية الأزمت التالية التي هددت البشرية  
جمعاء:

2 - المصدر السابق، ص 91.

حربان عالميتان ذهب ضحيتهما ملايين البشر، أضف إلى ذلك الخسائر الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية وما أشبهه.. وهذه بعض أرقام خسائر الحرب العالمية الاولى:

سجلت المانيا (1826000) قتيل أي 12% من هم بين الخامسة عشر والخمسين، كما سجلت فرنسا (1400000) قتيل أي 14% وإنكلترا (744000) قتيل أي 7%. وبلغ مجموع ما خسرت من مستعمراتها (950000) قتيل بينما خسرت الولايات المتحدة الامريكية (5.5%) أما فيما يتعلق بالبلدان الأخرى فعلىنا أن نقنع بتقديرات عامة فيها: (700000) قتيل لإيطاليا و(1.350.000) قتيل للنمسا والمجر (370.000) منها للصر، اما روسيا فيقدر عدد القتلى بـ(1.700.000) قتيل، في الفترة التي كانت فيها حليفة للحلفاء، ونحواً من (5) ملايين للفترة الواقعة بين (1914 - 1920م) وإلى جانب هذه الخسائر في الارواح يجب أن نضيف الخسائر التي تكبدها السكان المدنيون من جراء الغزو والأويثة الوافدة والتقنين الشديد في وسائل التغذية والمجاعة والنقص في معدل المواليد. ويمكن أن نضيف النقص العام الذي أصاب الرجال بين العشرين من عمرهم والأربعين نتيجة مباشرة الحرب بـ 16% في فرنسا والمانيا و7% في بريطانيا. وقد بلغ معدل كلفة الحرب في فرنسا 32% من مجموع الثروة الوطنية و22% من الثروة الوطنية في المانيا و32% في إنكلترا و26% في ايطاليا و9% في امريكا.<sup>(3)</sup>

- الأزمة الاقتصادية الخانقة أو ما سمي بالاسبوع الأسود الذي طل على وول ستريت في 24 تشرين الاول 1929م.

- الحركة الفاشستية والنازية التي دمرت الكثير من الانجازات الإنسانية حينما حكمت الأولى في ايطاليا والأخرى في المانيا. وديكتاتورية الجنرال بريمودي ريفارا عام 1934م، والجنرال كارمونا في البرتغال عام 1939م. بعدما استولى على مدينة لشبونة الجنرال غوميز دي كوستا. وفي اليونان عام 1925م مع الجنرال بنغالوس. وبلغاريا بزعامه تسانكوف بين عام 1923 و1926م.

يقول (هـ لاسكي) عن الحركة الفاشستية في أوروبا: إن «الفاشية ليست، سوى الرأسمالية تنتكر لأصولها الليبرالية، بحيث تكيف البنيان الإجتماعي للانتاج مع الاوضاع التي تكون فيها، الفكرة الليبرالية قاضية على الفكرة الرأسمالية سياسياً واقتصادياً وإجتماعياً».

ولكل هذه الأمور أصبحت مسيرة العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي مليئة بنقاط التوتر والحذر وبؤر الانفجار والمواجهة. ويفعل حالة الحذر والترقب التي كانت تسود العلاقة التاريخية

3 - انظر العهد المعاصر، منشورات دار عهديات، بيروت، ص 50.

بين الطرفين أصبحت القضية معركة تاريخية مستمرة. وعلى طول هذه المسيرة هزمتنا الغرب تارة ونهزمه تارة أخرى، مرة ندق أبواب فيينا ومرة يدق أبواب القدس، مرة نحاصر بواتيه في جنوب فرنسا ومرة يحاصر عكا في فلسطين.

وازاء هذا الواقع المرير الذي عاشه العالم العربي والإسلامي مع الغرب الاستعماري بدأت بالبروز والتبلور ثلاثة مواقف تجاه الغرب:

1 - موقف القبول المطلق بالغرب.. وينطلق هذا الموقف من قاعدة ثابتة لدى المنادين بهذا القبول، فإذا أراد العالم العربي والإسلامي، أن يتقدم ويلحق بالركب الحضاري فلا بد أن يقبل بكل شيء يفد إليه من الغرب، ويرفض كل موروثه الثقافي والاجتماعي والحضاري. وعن هذا الطريق يتمكن المشرق للحاق بالحضارة الغربية. ويقول أحد دعاة هذا الموقف: الجواب الواحد الواضح لإنهاء التخلف والتأخر، هو أن نندمج في الغرب إندماجاً في تفكيرنا وآدابنا وفنوننا وعاداتنا ووجهة نظرنا إلى الدنيا. الجواب الواحد الواضح هو أن تكون مصر قطعة من أوروبا<sup>(4)</sup>، وفي نظر هذا التيار فإن العمل والطاقت ينبغي أن تصب في إتجاهين: محاولة فك الارتباط الحضاري للمجتمعات العربية والإسلامية عن تاريخها وماضيها الإسلامي، والعمل على ادخال النظم والقيم والعادات والتقاليد الغربية في البنيان الاجتماعي والمعرفي والحضاري للعالم العربي والإسلامي. (فالحركة الحديثة ليس لها في الواقع نظرية محددة، لا في أهدافها ولا في وسائلها، والأمربعد هذا لا يعدو أن يكون غراماً بالمستحدثات، فسيبيلها الوحيد أن تجعل من المسلم (زبوناً) مقلداً دون أصالة لحضارة غربية تفتح أبواب متا جرهما أكثر من أن تفتح أبواب مدارسها، مخافة أن يتعلم التلاميذ وسائل إستخدام مواهبهم في تحقيق مآربهم.<sup>(5)</sup>

2 - موقف الرفض المطلق للغرب.. بإعتباره العدو الحضاري للأمة الإسلامية، وأنه الداء المسبب لكل مشاكلنا وأزماتنا. لذلك فبداية الحل الصحيح هو غلق الباب على هذه الحضارة ورفضها بكاملها، وأن النظريات الغربية التي تصدر إلينا لا تختزل نفسها على المستوى الاقتصادي أو السياسي فقط، وإنما هي تطرح نفسها كنظرية إقتصادية، ثقافية، اجتماعية، سياسية، حضارية بشكل عام، وعليه فاللحاق بالغرب اقتصادياً يعني الذوبان في المنظومة الغربية ثقافياً وسياسياً وحضارياً. والنخبة الفكرية والاقتصادية المتغربة، صنعت وهيئت لكي تكون نخبة عقيمة لاتستطيع الاستغناء عن العالم الغربي، فهي مصممة بحيث تشبه الغرب في

4 - شروق من الغرب، زكي نجيب محمود، دار الشروق، مصر، ص 25.

5 - وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، ص 71.

كل شيء، الا في قيم الابداع والاستقلال والقيم الانسانية الجوهرية التي اعتمد الغرب عليها في نهضته الصناعية والمدنية.

كما أن جميع الايدلوجيات التي سادت في العالم العربي والإسلامي، كانت ملخصات سيئة وترجمات مشوهة لمضمون التخلف الحضاري في الامة. حيث كانت تتصور واقعاً غير الواقع الإسلامي، فعمل دعائها ونشاطهم، كان غالباً في الفراغ لأنهم نقلوا صورة المشاكل في الغرب إلى العالم الإسلامي، وعالجوها بالحلول المطبقة في الغرب، وهذه عملية فوضوية وغير علمية وفوقية، تمارس التوجيه وتمسك بأدوات الوعي والمعرفة، التي أوجدها المستعمر وحاول من خلالها التعرف على مشاكلنا وصعوباتنا، ومن ثم إقتراح الحلول لنا. وجماع القول ان عملية إستيراد المعايير النماذج من الغرب ومحاولة تطبيقها، على عالم يختلف جذريا في تطوره الاقتصادي والإجتماعي والثقافي عن الغرب، ما هي إلا محاولة فاشلة تعكس عقم الإستيراد الفوضوي للمثل والتطور والتقنية الحديثة، بل هي ضرب من ضروب التخلف والانحطاط في صورته الحديثة.

3 - التوفيق الواعي بين الثقافة الإسلامية ومعطيات ومكاسب الحضارة الحديثة.. وينطلق هذا الموقف اعتماداً على مجموعة من الحقائق منها:

- إن هناك مجموعة من الأمور والقضايا ذات الطابع العالمي، أو ليست لها طابعاً ثقافياً حاداً، وقد اشتركت البشرية جمعاء عبر الأجيال في صياغتها وإيجادها عبر التراكم الحضاري. هذه القضايا نأخذ بها ونستفيد منها في حركة الحياة. فالمقصود بالتوفيق ليس التوفيق بين المبادئ الإسلامية والغربية، لأنها مسألة صعبة بل مستحيلة، لتناقض منطلقات الحضارتين حيث أن للأخذ الثقافي إمتدادات إجتماعية ونفسية خطيرة على جسم الامة الإسلامية، فنحن نستفيد من الغرب القيم الحية كالفاعلية والابداع والعمل والسعي والعلوم. فنحن لا نأخذ التكنولوجيا فقط وإنما نأخذ المعرفة التي صنعت وأبدعت هذه المعدات التكنولوجية، فالواجب أن نأخذ ما يحقق ذاتنا الحضارية ولا يلغي خصائصنا المجتمعية والثقافية والنفسية، وبالطبع فإن العلوم الطبيعية والتقنية الغربية ليست حيادية تماماً وإنما هي في إحدى أوجهها انعكاس بشكل أو بآخر للفلسفة المادية التي قامت عليها الحضارة الحديثة، فهي ليست لغة رياضية، منزهة ونزهة، وإنما هي لغة قابلة للتطبيق والتجسيد، لغة تهدم وتبني. لذلك فالحركة الإسلامية تستفيد من التقنية الحديثة والتطورات العلمية والمعرفية الهائلة في إطار الحفاظ على الخصوصية الحضارية للعالم العربي والإسلامي.

- ان المجتمعات الإسلامية بدأت تاريخياً الانفتاح على الغرب وهي تعيش حالة من